

صوم رمضان

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

- ٣ -

ومن الزهاد من عاف اللذائد لأسماء الناس كما فعل الإمام على (ع) لم يشأ أن يتمتع نفسه باللذات لأنه رأى أنه إن فعل ذلك توسع الولاة ومن يبدم امر الأمة الإسلامية في البذخ والنميمة حتى يرهقوا الرعية كما فعل من بعده الأمويون والعباسيون وانبايعهم - فزهدهم ليسعد الناس ، بل أنه أخذ ولائهم بالزهد وترك الانقياد لأطبايب الأطمحة كما فعل في استنكاره على واليه على البصرة عندما سمع بأقباله على الولاة الشبهة فحذره من سوء المصرع بكتاب وأذره ومن الزهاد من عاف اللذات تدينا ناسيا ان الشرائع شرعت

لأسماء الناس فمن اتبهم - رضى الله عنه لأنه عمل لأسماء عباده وان الله لم يجعل تمذيب النفوس سبيلا لرضاه . . .

وكان السكبيون من فلاسفة اليونان يملكون الناس ان الآلهة منزهة عن الاحتياج ، فخيركم من تخلق بأخلاق الآلهة فقتل من حاجته جهد الطاقة وقنع بالقليل ونحمل الآلام واستهان بها واحتقر القنى وزهد في اللذائد . ومن أشهر رجال هذا المذهب (ديو جانيس السكبي) مات سنة ٣٢٣ ق م وقد كان يعلم اصحابه ان يتركوا التكلف الذى اقتضاه اصطلاح الإناس وأرضاعهم ، وكان يلبس الخشن من الثياب وبأكل ردى الطعام وينام على الأرض ويرى مع باقى الفلاسفة السكبيين ان السعادة فى الفرار من اللذة وتقليلها جهد الطاقة وهذا افراط تأباه الشريعة الإسلامية . العملية التى ساربت المدنية والعلم وطبقت فى مختلف بقاع الأرض فنجحت من صحراء الحجاز ونجد اليمامة الى فردوس الأندلس وجنوبي ايطاليا وصقلية وغربي فرنسا وجنوبها ، الى جنان مصر والمراق وسوريا واران وتركيا ، الى ما وراء النهر والهند والتبت وزنجبار

ذلك قول القائل:

وقطائف رقت جـوما مثل ما غلظت قلوبا فهى لى أحساب
تحلو فائملو ويشهد قطرها الـ فياض أن ندى على سحاب
ففى البيت الأول يصور القطائف رقيقة تكاد تشف عما
تحتمها . وقد بولغ فى حشوها . والبيت الثانى تصد به المدح بالكرم
لا أقل ولا أكثر .

ومنهم من جمع بين الكفاة والقطائف ، ومن ذلك قول القائل
وقطائف مقرونة بكنفاة من قوقن الكر الدرور
هـ اتيك تطربنى بنظم رائق ويروقنى من هذه المنثور
والظاهر أن المائدة التى جلس عليها هذا الشاعر كانت فى
منزل أحد الأغنياء لأنها جمعت بين الكفاة والقطائف ، وهذا لم
يكن متيسرا فى ذلك الوقت إلا للاعيان وأصحاب الجاه . وقد
رقص الشاعر طربيا ، وكاد يطير من الفرح والسرور حينما رأى
الكفاة وبجانبه القطائف . فأخذ يمد يده إلى هذه مرة وإلى تلك
أخرى حتى ملا معدته .

محمد سير كبلانى

أما القطائف فقد عرفت منذ العصر العباسى ؛ وجاء ذكرها
فى شعر ابن ارمى وكشاجم وغيرها . ومنهم من شبهها بمحقات
من العاج ، ومنهم من شبهها بوسائف قامت بجانب وصائف .
ومنهم من شبهها وقد رست فى الأطباق بالمصلين الذين يسجدون
وراء الامام . فالشاعر الذى يقول :

لله در قطائف محشوة من فستق دعت النواظر واليذا
شبهتها لما بدت فى صحنها بمحقات عاج قد حشين زرجيدا
راعى المنظر العام لهذه القطائف ورأى أن كل واحدة منها
تبدو فى شكل حق له لون العاج بداخله حشو يشبه الذهب
الخالص . والشاعر الذى يقول :

وقطائف محشوة بلطائف طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضدت على أطباقها بوسائف قامت بجانب وصائف
لم ينظر إلى لون القطائف ولا الى شكلها ولا الى ما حشيت
به بل نظر إلى الطريقة التى وضعت بها فى الطبق ولذلك قال .
« شبهتها نضدت على أطباقها »

ومنهم من تناول القطائف ولا هم له إلا التلاعب بالألفاظ
وأظهار القدرة على استخدام المحسنات اللفظية والمنوية . ومثال

قال الطبرسي من القرن السادس الهجري في (مجمع البيان في تفسير القرآن) ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا - ظاهره الأمر والمراد به الأباحة لان تناول المشهي لا يدخل في التمسيد وقيل انه امر في وجهين احدهما يأكل الحلال والآخر بالأكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس. قال القاضي وهذا مما يمرض في بعض الاوقات وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق .

واقول ان من ينتبه الى ما قيد به الصوفية انفسهم وحرموا عليها ما اباحه الشرع. الشريف من اطياب الطعام والشراب استصوب حمل (كلوا) على الأمر الأبيح لهؤلاء الذين ضلوا عن سواء السبيل وتكبروا نهج الطريق وكانهم تأثروا بما نقل الى اللغة العربية من انكار الوثنيين من اليونان كالكلبيين أو من اديان الأمم قير المسئلة كالبراهمة من الهند ثم حوروا تلك الفاسقات وفق تعاليم الإسلام وحوروا الإسلام فقها فنشأت ضلالات الصوفية وأباطيلهم وضاع جمال الإسلام شريفة الممران العملية. ومن وجهة ثانية لقد نهى الإسلام ان تندفع وراء اللذات اندفاعاً اعمى فقد تعودنا الى المهالك. ونبراس ذلك الآيات الكريمة (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى) (افرايت من اتخذ له له هواه) قال الطبرسي في مجمع البحرين أى ما تميل اليه نفسه والهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم سمي به الهوى أى الشيء المشهي محموداً أو مذموماً ، ثم غلب على غير الحمود وقيل فلان اتبع هواه اذا أريد ذمه سمي بذلك لانه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهاوية اي جهنم قال تعالى (واما من خفت موازينه فأمه هاوية) قيل هاوية من اسماء جهنم وكأنها النار العميقة يهوى اهل النار فيها مهوى بعيداً اي فأواه النار . (وان كثيراً ليضلون باهوائهم) اي باتباع اهوائهم وقال تعالى (أو كالذي استهوته الشياطين في الأرض)

فهذه الآيات صريحة في التحذير من الانجراف بتيار الأهواء والشهوات واتباع خطوات شيطان الماطفة الحقاء حيث يهوى بالإنسان الى مصرع السوء ويلقى في النهاية جهنم عذاب

وغربى أفريقيا واليمن - فلاءت البدو والحضر في اوربا وآسيا وافريقيا وامريكا (ان شاء الله)

ولا تنس ان مقابل اولئك الفلاسفة التزمين الذين قاطموا اللذات وتخرجوا من مسافرتها - يوجد فلاسفة آخرون أفرطوا في ما ذهبوا اليه كما أفرط خصومهم ، فهؤلاء يرون اطلاق المره لنفسه العنان وان يمكنها من كل ملذات الحياة، يرون ان الإنسان في هذه الحياة انما خلق ليتنعم ولم يمنح العقل الا ليبحث له عن وسائل التمتع وطرقه، فهو لذلك يصب اللذائذ عبا ويكرع من مجرها بأفراط ، وينهمك في مسافرتها ما استطاع . وهذا ضار بالفرد هادم للمجموع ، فلو أجمنا لكل انسان ان يتلذذ كما يشاء والقينا حبل الفرد على غاربه يعبث كما توحى له اهواؤه ما انتظم شأن مجتمع ولتعارضت شهوات الأفراد وكانت الفوضى المطلقة. وان جمية افرادها ليسوا اعفاء اعنى انهم لا يحكمهم الا اهواؤهم وشهواتهم الجسية - لتحمل معها بذور الانحلال والانحطاط . وهي آبله الى الدمار والتمزق لا محالة - وفضيلة العفة تتطلب من الانسان القصد في اللذائذ ، فان هو أفرط فانهمك في شهواته أو فرط فاماتها وبالغ في الزهد فقد حاد عن سواء السبيل وابتعد عن نهج الاسلام الشريفة السمحة التي ترى خير طريق في الحياة ان نبيل المره نفسه ملذاتها الطيبة ويطلبها مشتهياتها ما لم تخرج عن حدود الاخلاق فذلك ادعى الى نشاطها واقرب الى طبيعتها، انما يجب ان لا تتجاوز الحدود المشروعة في داخلها من اللذات ما هو ضمن للسادة الفردية ولسلامة المجموع ونبراس ذلك الآيات الكريمة (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)

(يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تبتدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه)

(يا ايها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)

الخطيئة وسوء مغبة الأجرام رعابته. وكما قدمنا ان الجرائم مبيها الانصياع لرغبة الاهراء والشهوات الجائعة التي حذرنا الاسلام من موبقاتها وأب الكارعين من اقتدار حماها واقد حاول الأجلام ان يدبنا بالصوم على عصيان الهوى وطاعة العقل، وكان الإسلام حاول ان يكبح بالصوم جماح النفس ويصدها ويما كس اهواها فهو بدلا من ان يساير فاسفة هؤلاء المذنبين انفسهم ويتبعها على طول الخط - خصص فترة من الزمن لحرمان النفس من اهوائها وتصيرها على المكاره وخشونة العيش، وعلم المرء كيف يتقاومها ويمجر لجامها وينهرها ويصرخ في وجهها، فكانه غشى مع مبدأ الأتماذ (جيمس) القائل بأنه يجب ان نحافظ على قسوة مقاومة المصائب إذا حان حينها - بل الحق ان هذا المفكر الغربي هو الذي اقتبس فلسفته من الإسلام أخذها من حكمة الصوم؛ فأوريا مدينة للإسلام في يقاقتها ورشدها وهدايتها ومنه اخذت الثور والحضارة، وفلاسفتها تلاميذ على فلاسفة الإسلام كابن رشد والفارابي وابن سينا ونصير الهين الطومبي وغيرهم

وكيفما كان الأمر فان الإسلام الذي حاول بالصوم تلميم اتباعه ضبط النفس لم يقصد بذلك القضاء على الرغبات والشهوات كما ظن الضالون من الصوفية فقد صرخ الإسلام بتتبعه (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وأما اراد وحاول تهذيبها واعتدالها وجمالها خاصة لحكم العقل، فق القضاء على الشهوات قضاء على الشخص وعلى النوع الأنسان وفي اعتدالها سمادتها مما

وعلى كل حال اننا بالصوم تعلم احتمال مكاره الحياة ومشاقها وجوعها وعطشها وحرمانها، ولم يقصد بهذه العبادة ان نضل ونفطر في تعذيب النفس بالجوع بل دعا الإسلام ان نكون امة وسطاء؛ ففي الوقت الذي الماح لنا التمتع بنعم الله وطيبات الرزق ازاد ايضا ان نواصي الفقراء والموزين واليتامى والمذبذبين في جوعهم والأمهم ليشر الأغنياء بما يلاقى البؤساء من مفض الحياة الرة وقسوة أحكامها الصارمة أحيانا على الفقراء والأرامل. وقد كان الأمام على (ع) بكرر طلب ذلك من المسلمين في خطبه في جامع الكوفة ويستشهد بقول الشاعر

وحسبك داء ان تنام بيطنة وحولك اكباد نحن الى القد والقد هو سير يقد من جلد غير مدبوغ وهذا كتابة عن فرط جوعهم حتى أنهم ايشتهون ويحنون الى اكل الجلد اليابس. لقد حاول الإسلام ان يجيع الأغنياء ليذكهم بجياع الفقراء واليتامى الموزين حتى يواسوهم، وبذلك يزرعون في قلوبهم حبهم والميل اليهم فلا تبقى هذه الفترة بين الطبقات وتنفي وتغتم أسباب الثورات الشيوعية كما حدثت ثورة القرامطه مؤلفة من الزوج الذين كان يرهقهم أسياؤهم، وقد حض الإسلام على اطعام الفقراء. قال الطبرسي في تفسير الآية الكريمة (وعلى الذين بطيقتونه فدية طمام مسكين) خير الله الطايفين للصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا، وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين لانهم كانوا لم يتمودرا الصوم ثم نسخ بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه. هذا مضافا الى ما امر به الإسلام من الصدقات

لقد حاول الإسلام ان يبيش الناس اخوانا، ودعانا الى أن نتجرع نكد العيش اختياراً حكماً نافذاً على الجميع - مع من دون تقريظ إلا بالمرض والضعف، وأن نذوق بؤس الحياة بالصوم اختياراً حتى لا يصبرنا إذا حملناه كرها؛ ولكنه اشترط لصحة الصوم أن لا يؤدي صاحبه لمرض فيه ولا يهدم بنيته بآثاره، فهي أن يتجرع كأس الصوم المرضى والمسافرون الذين تكفيهم غربتهم في اتناهم وترويض انفسهم على مشاق الحياة وجشوبة العيش وخشونته ونبراس ذلك الآية الكريمة :

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والقرآن؛ فن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولا يد أن تستعجل رأى الطب الحديث في الصوم... لقد أجرى العلماء تجارب عديدة على الحيوانات لمعرفة تأثير الصوم فيها. وقد ذكرت تلك التجارب في كتب الفسلجة والكيمياء الحيوية المطولة. ويتلخص رأى الطب الحديث في أنه يرى الصوم واسطة لأراحة الجهاز الهضمي وإذابة الشحوم الزائدة في البدن، إذ أن الجسم يستهلكها عند انقطاع الزاد الخارجى - في توليد الطاقة الحرارية، وإذن فإن الجسم يستريح من الشحم الزائد ويكتسب البدن رشاقة النزال الأهيف وخفة حركاته. وكذلك فان جسم

الفائض عن حاجته من الأغذية ويمده لليوم الأسود؛ فليس الجسم يحرق أثناء الصوم الدهون الداخلة في تركيب كيان الحبيبات الجسمية والمكونة لمادة البروتو بلازم. أهداما يذكر في كتب الفسلجة وفي كتب الطب ذكروا الصوم كعلاج للسمنة المفرطة كما ذكره (ساقيل) في كتابه في الطب التشخيصي وذكر (نايلار) في كتابه في مزاولة الطب إن المصابين بالسمنة الزائدة يصومون في فترات تمتد عدة أيام وقد سمح لهم بالخضر فقط مع الفواكه الطرية الجديدة مع قليل من السمك. وطبعاً أن هذا في حالة امتداد الصوم لمدة أيام فهو أشد من الصوم الإسلامي الذي ينتهي أمده في نهاية اثنتي عشرة ساعة فقط فلذلك سمحوا له بقليل من الأغذية. وذكر الصوم كعلاج للسمنة في كتاب (برايس) في ممارسة الطب الذي ألفه جماعة من كبار الأطباء وقد جاء فيه: لمعالجة السمنة الطفيفة يحدد تناول النشويات والدهنيات مع القيام الزائد بالرياضة الجسمية وهذا هو أساس العلاج المنسوب إلى (باتينيك) وهذا هو رجل انكليزي عاش (١٧٠٧ - ١٨٧٨ م) وابتكر طريقته في معالجة السمنة، ويعتمد علاجه على استخدام الصوم من الأغذية بنظام خاص. ويستمر المؤلف في وصف للسمنة المفرطة صوماً أشد. ولسنا بمقام التفصيل وإنما أردنا تقرير أن الطب اعتمد على الصوم اجمالاً في معالجة السمنة.

ضياء الدخيلي

كلام صلة

الصائم بسطو على ما اختزن من السكريات فيستهلكها. والجوع يرهق الحواس؛ ألا ترى أن الوحوش تضرب إذا جاءت وتستيقظ فزأها الحيوية للاقتراض وخوض مارك الحياة؟ والأم تمهض للفتح والغلبة ونهب خيرات غيرها إذا شحت أرزاقها فجاعت. وترى قبائل البدو في الصحراء العربية تشن غاراتها غازية من تنوف في يدها الأنعام إذا أجذبت البادية. ولقد قامت القبائل العربية بأكبر غزو عندما جمع ثملها تحت لواء الدعوة الإسلامية - فذكت امبراطوريتي فارس وروما وبسطت جيوشها على القسم المعمور من الأرض في قنعة وجيزة، وعبرت من أفريقيا البحر إلى أوروبا فاستولت على اسبانيا وتوغلت في فرنسا وحكمت نصف ايطاليا الجنوبي واستولت على ممرات جبال الألب وسنت غاراتها على أواسط أوروبا في سويسرة - هذا في الميدان الغربي - أما في الشرق فقد ضربت حدود الصين وأخضع العرب أمم آسيا وبسطوا نفوذهم على القسم المعمور المتمدن منها ومن شمال أفريقيا. ولو دققنا النظر لوجدنا أن المامل البيولوجي الذي حفز العرب وأنهمهم إلى الغزو هو شح بلادهم وجديها. وقد هدام الإسلام يشرمته القويمة إلى الطريق المستقيم وأتقدم من الفوضى والفتنة ووحدهم ودفع بهم إلى ينابيع الثروة في أخصب بقاع الأرض ليتخلصوا من جذب الصحراء وجوعها وعطشها. وهذا هو ما قالته السيدة الزهراء (ع) للعرب من أنصار ومهاجرين عندما خطبت يوم السقيفة في المدينة بعد وفاة أبيها الرسول (ص) فكان فضل الجوع على الانسان جليلاً فهو الذي يفتح البقريات الرائدة - والحاجة كما قيل أم الاختراع - هذا من الوجهة الأدبية أما من الناحية الفسلجية الطيبة فان هليبرثون يقول في كتابه في الفسلجة في بحث الجوع ان الجسم يحرق في صومه المواد السكرية المخزونة فيه ويستهلك بتفتير النشأ الحيواني ولا ينال النقص القسم المخزون منه في العضلة القلبية وباقي العضلات، ولسكن الشحم والدهن يحترقان بصورة واسعة وبمعيان أخيراً للبع الوحيد للطاقة الحرارية، وأن الذي يحترق من المواد الدهنية من بدن الصائم هو الجزء المخزون في المتودمات وفي عملات اختزانه لوقت الحاجة وذلك كما في الثرب ونحت الجلد وبين طبقات الأمعاء تلك الواضع التي اعتاد البدن أن يحفظ فيها القسم

وظائف خالية لمعاونين صحيين

الادارة العامة للصحة المدرسية في
حاجة لمعاونين صحيين للعمل بالمناطق
التعليمية - وتقدم طلبات الاستخدام على
الاستمارة رقم ١٦٧ ع ج. ح. برسم
حضرة صاحب المزة المدير العام
للصحة المدرسية شارع عبد العزيز
رقم ١ في موعد نهايته شهر
بوليو سنة ١٩٥٠ ٥٢٦١